

## الحرمان الشريفان وحجاجهما وتأريخ الإرهاب

علمي خازم

يختصر هذا العنوان بل ويستحضر من تاريخنا العربي والإسلامي أحوالاً عاشها الحرمان الشريفان - مكة والمدينة - وسكانها والقاصدون والمغادرون أحياناً لا تسر القارئ، ولعلها تشكل صدمة لما استراحت إليه الذاكرة القرآنية والروائية، التي تسبغ على عبادة الحج وجغرافيتها صورة الأمن والثبات والطمأنينة.

ألم يجعل الله البيت مثابة للناس وأمناً؟  
ألم يقدم الفقه أحكامه الخاصة بالحج ليضمن للمسلمين جوّاً روحياً واجتماعياً يقربهم من المولى؟  
ألم يشهد الحرمان تطوراً عمرانياً شاملاً في البناء والخدمات يستحق الحديث عنه، وهو يبقينا في صورة المشهد الايجابي المشجع؟  
ولست استبعد من سياق هذه الأسئلة أن تعدّ المقالة كلّها مندرجةً فلماذا هذا التشويش؟

هذه الحوادث على الأقل. وهناك أمرٌ آخر تؤكدُه إشارات هذه الفهرسة وهو: أنّ الجعل الإلهي للأمن في الحرم جعلٌ تشريعي لا تكويني، وبالتالي لا بدّ لنا من إيجاد الضوابط المساعدة على إيجاد الأمن للحجاج، وتسهيل شؤون ومجريات هذه العبادة بحيث تؤدي إلى الغاية منها.

١ - حملة أبرهة في عام الفيل حيث دفع الله عن البيت الحرام بالطير الأبايل.

٢ - سنة ٣٥ هجرية الموافقة ٦٥٥ ميلادية في ١٨ ذي الحجة قتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث، وكانت مدة خلافته ١٢ سنة إلا ١٢ يوماً وذلك في المدينة المنورة.

٣ - سنة ٤٠ هجرية الموافقة ٦٦٠ ميلادية بعث معاوية بسر بن أرطاة في عسكر إلى الحجاز فقدم المدينة، وعامل علي عليه السلام عليها هو أبو أيوب الأنصاري فهرب، ودخل بسر المدينة وسفك الدماء، واستكره الناس

تحت عنوان إشاعة الفاحشة، لكنني آمل لها أن تقرأ بروحية قرآنية.

إنّ الأحداث المؤلمة التي أدّت إلى انتهاك حرمة وقداسة الحرمين ليست إلّا مورداً من موارد الفتنة للمسلمين عن دينهم، سواء في الأرض المقدسة نفسها أو بعيداً عنها، وبالتالي يصير الأسى الذي تستحضره هذه القراءة السريعة، مما لا بدّ منه في محاولة بناء التاريخ القادم على أساس الاستفادة من تجاربنا السابقة.

وإنّ كلّ حدثٍ مذكور هنا يستحق بنفسه دراسة مستفيضة، وله العديد من المراجع والمصادر استغنيت عن ذكرها هنا؛ لأنني آمل من الأساتذة الباحثين أن يفيدونا عنها بصورة مستقلة محقّقة للغرض الذي ذكرته، خصوصاً أن هذه الضرورة تحتمها إحدى نتائج الاستقراء للحوادث، من جهة أنّ العدد الكبير من الانتهاكات يجعل الأجيال المتتابة للمسلمين مشاهدة وبصورة مباشرة على أحد

الحاج ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية، وأمرهم باغتيال الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

٧ - سنة ٦٣ هجرية الموافقة ٦٨٢ ميلادية، كانت وقعة الحرة على باب طيبة؛ لأن أهلها عندما خالفوا يزيد أرسل إليهم ١٢ ألف مقاتل تحت إمرة مسلمة بن عقبة المرسي لمحاصرتهم، وأن لا يفكوا الحصار عن المدينة إلا إذا أذعنت، وليحرقوها إذا مضت ثلاثة أيام ولم تدعن.

وهكذا حصل فأصبحت المدينة غنيمة للنار بعد القتل والنهب والسي والفسق، وفعل ما لا يفعل، وكانت وقعة الحرة في ٢٧ ذي الحجة.

٨ - في خلافة عبد الملك بن مروان أكل ابن دلجة عامله في المدينة اللحم والخبز على المنبر الشريف، وقال عامله الآخر خالد بن عبد الله القسري: والله لو علمت أن عبد الملك لا يرضى عني إلا بنقض هذا البيت - وهو مستند إلى جداره - حجراً حجراً لنقضته في

على البيعة لمعاوية، ثم سار إلى اليمن فهرب منه عاملها عبيد الله بن العباس فذبح ولديه الصبيين.

٤ - سنة ٥٠ هجرية الموافقة ٦٧٠ ميلادية، أراد معاوية نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله من المدينة إلى الشام، وقال: لا يترك هو وعصا النبي بالمدينة، فعارضه من الصحابة جابر وأبو هريرة وقالوا له: «إن أردت فانقل المسجد بكامله»، فتركه معاوية وزاد فيه ست درجات واعتذر.

٥ - سنة ٥١ هجرية الموافقة ٦٧٠ ميلادية حج معاوية بالناس، وأخذهم ببيعة ابنه يزيد بالقوة، وكان بينه وبين الصحابة ما كان في ذلك.

٦ - سنة ٦٠ هجرية أنفذ يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق الفاتك الجبار في عسكر عظيم، وأمره على الحاج، وولاه أمر الموسم، وأوصاه بقبض الحسين عليه السلام، وإن لم يتمكن منه يقتله غيلةً، وأمره أن يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه. ودس مع



- مرضاته.
- ٩ - في سنة ٧٢ هجرية الموافقة ٦٩١ ميلادية جهّز عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، فسار في جمادى الأولى من تلك السنة، ونزل الطائف، وجرى بينه وبين أصحاب ابن الزبير حروب كانت الكثرة فيها على أصحاب ابن الزبير.
- وأخيراً حصر ابن الزبير بمكة ورمي البيت الحرام بالمنجنيق ودام الحصار لآخر هذه السنة.
- في سنة ٧٤ هجرية الموافقة ٦٩٣ ميلادية هدم الحجاج الكعبة وأخرج الحجر عن البيت، وبنى البيت على ما كان عليه في زمن النبي ﷺ وهو على ذلك إلى الآن.
- ١٠ - في سنة ١٢٩ هجرية الموافقة ٧٤٦ ميلادية خرج بمحضر موت طالب الحق عبد الله، واجتمعت عليه الإباضية من الخوارج، وفي هذه السنة جهّز عبد الله عشرة آلاف مقاتل وسار إلى مكة وفيها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، فتغلب طالب الحق عبد الله على مكة بالقوة.
- ١١ - في سنة ١٣٠ هجرية الموافقة ٧٤٧ ميلادية أرسل الخليفة مروان الحمار جيشاً لتخليص مكة ودعم عبد الواحد، فبرز أعوان طالب الحق لقتالهم، والتقى الجمعان بقديد فانهزم عبد الواحد، وسار أبو حمزة فاستولى على المدينة.
- ١٢ - في سنة ١٤٥ هجرية الموافقة ٧٦٢ ميلادية ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب واستولى على المدينة، فأرسل المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله، فانهزم محمد بن عبد الله، واستولى عيسى على المدينة.
- وفي هذه السنة منع يزيد بن حاتم أمير مصر أهل مصر من الحج؛ لما كان في الحجاز من اضطرابات.
- ١٣ - في سنة ٢٣٠ هجرية ٨٤٤ ميلادية عاثت الأعراب فساداً حول

المدينة، فسار لحرهم الأمير بغا، وأنزل بهم القتل والأسر، وحبس منهم في القيود نحو ألف نفس، وكان ذلك في خلافة الواثق، والأعراب هؤلاء هو بنو سليم كانوا يؤذون الناس.

١٤ - في سنة ٢٨٥ هجرية الموافقة ٨٩٨ ميلادية تعبت الحجاج تعباً شديداً لخروج صالح بن مدرك الطائي وقطعه الطريق عليهم.

١٥ - في سنة ٢٩٤ هجرية الموافقة ٩٠٦ ميلادية خرج زكرويه القرمطي وأوقع بالحجاز ما أوقع وأخذ جميع ما معهم. فانتدب المكتفي جيشاً لقتاله تحت إمرة زباله، فهزمه زكرويه وفتك بالقافلة الثالثة التي كانت متأخرة، فعظم الأمر على المكتفي وأرسل جيشاً آخر تحت إمرة وصيف، فتغلب عليه وقتله وخلّص النساء والأموال التي كان زكرويه نهبها.

١٦ - في سنة ٣١٧ هجرية الموافقة ٩٢٩ ميلادية سطا عدو الله أبو طاهر القرمطي على البيت الحرام، وعزاه وقلع الباب والحجر الأسود، وطرح القتلى في بئر زمزم، وأتى كل أمر منكر، ودام الحجر الأسود عنده ٢٢ سنة إلى أن ردّ في مكانه في خلافة المطيع.

١٧ - في سنة ٣٣٨ هجرية ٩٤٩ ميلادية تحركت القرامطة وأثاروا الشغب والرعب ولم يحج أحد.

١٧ - في سنة ٣٣٩ هجرية ٩٥٠ ميلادية ردّ الحجر الأسود إلى موضعه، بعث به القرمطي مع محمد بن بشير إلى الخليفة المطيع لله، وكان قد دفع فيه ٥٠ ألف دينار وما أجابوه إلى ذلك.

١٨ - في سنة ٤٠٠ هجرية الموافقة ١٠٠٩ ميلادية أرسل الحاكم بأمر الله من مصر إلى المدينة، ففتح باب بيت الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأخرج منه مصحفاً وسيفاً وكساءً وقعباً وسريراً.

١٩ - استعمل البارود في حصار مكة سنة ٤٠٧ هجرية كما ذكر اللواء أحمد مختار باشا من دون توضيح للجهة



- المحصرة. هي نفسها المانعة من حج عامي ٤١٠ و ٤١١ هجرية. ٢٠- في عامي ٤١٠ و ٤١١ هجرية انقطع الحج من العراق وعاد سنة ٤١٢ هجرية.
- ٢١- في سنة ٤١٤ هجرية الموافقة ١٠٢٣ ميلادية كان يوم النفر الأول يوم الجمعة، فقام رجل من مصر، بإحدى يديه سيف مسلول وفي الأخرى دبوس بعد ما فرغ الإمام من الصلاة، فقصد ذلك الرجل الحجر الأسود كأنه يستلمه، فضرب الحجر الأسود ثلاث ضربات بالدبوس وقال: إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد وعلي؟! فليمنعني مانع من هذا، فإني أريد أن أهدم البيت. فخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه وكاد يفلت، فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله وقطعه الناس وأحرقوه، وقتل ممن اتهم بمصاحبه جماعة وأحرقوا.
- ٢٢- في سنة ٥٤٥ هجرية الموافقة ١١٥٠ ميلادية وفي ١٤ من شهر محرم أخذت العرب الحجاج بين مكة والمدينة في مكان يقال له الغرابي، فلم يسلم منهم إلا القليل.
- ٢٣- في سنة ٥٥٦ هجرية الموافقة ١١٦٠ ميلادية احتال أمير مكة قاسم بن أبي فليته على أموال أهل مكة، وجمع العرب لمحاربة عمه عيسى. ولما نكث بما وعدهم فيه تنحوا عنه فتملك عمه مكة، وهرب قاسم إلى جبل قبيس، فسقط عن فرسه حال صعوده ومات.
- ٢٤- في سنة ٥٧٧ هجرية الموافقة ١١٨١ ميلادية عزم البرنس أرناط صاحب الكرك على المسير إلى المدينة المنورة، فمنعه عز الدين فرحشاه نائب عمه السلطان صلاح الدين في دمشق، وقد قتله السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٣ هجرية لنقضه العهد،
- وفي هذه السنة عاد الحجاج إلى العراق من طريق الشام؛ لصعوبة الطريق المعتاد، والظاهر أن الأسباب

- وتهديده الحرم الشريف.
- ٢٥ - في سنة ٧٢٧ هجرية الموافقة ١٣٢٦ ميلادية حاصر الأمير ودي جماز المدينة النبوية سبعة أيام ودخلوها، وأحرقوا باب السويقة.
- ٢٦ - في سنة ٧٣١ هجرية الموافقة ١٣٣٠ ميلادية ثارت عبيد مكّة ساعة الجمعة بالوفد، وقتلوا ونهبوا جماعة من الحجاج، وقتلوا أمير مصر وهو أيدمر. فجرد السلطان محمد بن قلاوون جيشاً من مصر والشام للانتقام من فاعل ذلك.
- ٢٧ - في سنة ١١٠٩ هجرية الموافقة ١٦٩٧ ميلادية اشتكى العلماء والمشايخ والسناجق للحضرة السلطانية بقول: إن (علي باشا) المعزول (والي مكة) أخذ من ثمن غلال الحرمين الشريفين، وجرايات العساكر، وعلائق الخيول وغيرها من كلّ أردب ما (قيمتها ١٩٠ نصفاً فضة).
- ٢٨ - في سنة ١١٨٤ هجرية الموافقة ١٧٧٠ ميلادية تكلفت مصر
- بمحملة عسكرية على مكّة، وهي من الحروب التي أقامها علي بك ومحمد بك أبو الذهب وكانت كلفتها ٢٦ مليون فرنك.
- ٢٩ - في سنة ١٢٢٦ هجرية الموافقة ١٨١١ ميلادية استلم طوسون باشا السيف المرسل له هديةً من قبل الحضرة السلطانية، واستلم سر عسكرية تجريدة الوهابية.
- ٣٠ - في سنة ١٢٢٧ هجرية الموافقة ١٨١٢ ميلادية سخر طوسون باشا الناس والحمير لخدمة العسكر المسافرين للحجاز. وفي شوال أرسل خبراً لوالده ليخبر الباب العالي بأن طريق الحج صار آمناً.
- ٣١ - في سنة ١٢٢٩ هجرية الموافقة ١٨١٣ ميلادية قام طوسون باشا بتجهيز جيشٍ لحرب الوهابية في المدينة المنورة.
- ٣٢ - في سنة ١٢٣١ هجرية الموافقة ١٨١٥ هجرية قام إبراهيم باشا بمحملة عسكرية في المدينة المنورة ضدّ



الوهابية. الفرنسية والأميركية مدنسة الحرم  
 ٣٣ - في سنة ١٢٣٣ هجرية الشريف بقيادة الكابتن الفرنسي بول  
 الموافقة ١٨١٧ ميلادية (٧ ذو القعدة) باريل.

طلب عبد الله بن سعود المهادنة بعد  
 ٣٦ - في سنة ١٤٠٧ هجرية حصار استمر نحو سبعة أشهر. ثم سلم  
 الموافقة ١٩٨٧ ميلادية ضربت قوات المدينة على شروط منها: رد الكوكب  
 (ايرانيين وغيرهم) فقتلت منهم عدداً الدري إلى محله. وفيما عدا ذلك لم يضمن  
 عظيماً وذلك تحت قيادة الجنرال إبراهيم باشا لابن سعود حياته حيث  
 الألماني اولريخ فينجر. كان أمره بيد السلطان.

٣٤ - في سنة ١٣٤٣ هجرية الموافقة ١٩٢٤ ميلادية استولى  
 السعوديون على الطائف في محرم وعلى مكة في ١٣ ربيع الثاني وفي ٥ جمادى  
 الآخرة دخل ابن سعود مكة. وفي هذه الفترة جرى تهديم مقامات أهل  
 البيت عليه السلام.

٣٥ - في سنة ١٤٠٠ هجرية ثار  
 جهيمان العتيبي على السلطة السعودية وهو من أصوليين الوهابية، وقد نسب  
 إليه إدعاء المهذوية، والتجأ إلى الحرم المكى بعد مطاردته وجماعته إلى أن  
 استقطت حركته بواسطة القوات